

الحلقة السابعة والأربعون

مواضيع عملية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. هناك ظواهر اجتماعية سلبية عديدة تصيب مع الأسف مجتمعاتنا، ومنها ظاهرتا الاحتيال والسرقة. فتحت عنوان لبناني يقتل زوجته طمعاً ببوليصة تأمين قيمتها ١٠٠ ألف دولار جاء الخبر التالي من بيروت:

قتل رجل زوجته طمعاً، ليستطيع قبض قيمة بوليصة التأمين المشتركة بينه وبين زوجته والتي وضعها في ألمانيا وقيمتها مئة ألف دولار. لكن قوى الأمن اعتقلت الزوج بعد أن توسعت بالتحقيق واتهمته بقتل زوجته. ومثل هذه الحادثة تتكرر في الكثير من البلدان.

وفي خبر آخر جاء من العاصمة الأردنية عمان ، أنه تمت محاكمة ١١ متهماً بالاحتيال والسرقة الالكترونية. وقد وجهت نيابة أمن الدولة إلى المتهمين تسع تهم هي الاتفاق بقصد ارتكاب الجنايات على الأشخاص والأموال، والتزوير في أوراق رسمية خاصة، وتقليد ختم إدارة عامة.

وفي نفس الوقت ازدادت مخاوف الناس في كل مكان، من سرقة بطاقات الائتمان وانتحال هوياتهم. ففي بريطانيا كشفت دراسة جديدة نُشرت نتائجها مؤخراً، أن أثرياء بريطانيا ينفقون قرابة خمسة مليارات جنيه إسترليني على الإجراءات الأمنية لحماية أنفسهم وعائلاتهم وممتلكاتهم. وأشارت الدراسة إلى أن أثرياء بريطانيا قلقون بشكل متزايد من استهدافهم من قبل عصابات الجريمة المنظمة لسرقة هوياتهم أو سياراتهم أو ابتزازهم. وقالت إن نسبة ٩٠% من أثرياء بريطانيا تنفق أكثر من ٣٠ ألف جنيه إسترليني شهرياً على الحماية الأمنية.

وأضافت الدراسة أن ٣٨% بالمئة من الأثرياء تعرضت منازلهم للسرقة، في حين عانى ١٩% بالمئة منهم على يد سارقي السيارات. كما يخشى ٥٤% منهم من تعرض هوياتهم للسرقة، و ٤٠% بالمئة من تعرض سياراتهم الفاخرة للسرقة تحت التهديد و ٣٠% بالمئة من الاختطاف للمطالبة بفيديو. ومن المعروف أن سرقة بطاقات الائتمان وهويات الأشخاص هي من الظواهر

الخطيرة التي أخذت تنتشر بكثرة ولاسيما في البلدان المتقدمة، حيث يسحب السارقون مئات الألوف من الدولارات قبل أن يتم اكتشاف الأمر والحد من عملياتهم.

من الملاحظ أن السبب الرئيسي وراء كل أعمال الاحتيال والسرقة التي ذكرناها هو الطمع. فهي لم تكن نتيجة فقدان الإنسان لحاجاته الملحة، كالطعام أو المسكن أو اللباس. أي هو الطمع الذي يهدف لمجرد الحصول على المزيد من المال وبوسائل غير شرعية. فالطمع إذا استبد بالإنسان يدمر نفسه من الداخل، ويجعله رهينة لأهواء وشهوات فاسدة، لا بد أن تقوده إلى ارتكاب أبشع الحماقات كاللجوء إلى أعمال الاحتيال والسرقة وابتزاز الآخرين، لا بل إلى قتل شريكة أو شريك حياته، وأقرب المقربين إليه.

أليس هذا أمراً خطيراً يا صديقي؟ أن يسمح الإنسان للطمع أن يستبد به ويقوده إلى ارتكاب أبشع الأعمال؟ وهل تعلم أن كلمة الله كما جاءت في العهد الجديد من الكتاب المقدس سبق وحذرتنا من الطمع ومحبة المال؟ كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل قائلاً: "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غيبية ومضرة تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة." (1 تيموثاوس ٦: ٦-١٠)

لقد حذر الرسول بولس ليس فقط أولئك الذين يستبد الطمع بحياتهم، بل أيضاً الذين يريدون أن يكونوا أغنياء مهما كلف الأمر. لأن هؤلاء سيوقعون أنفسهم في فخ الشهوات الغيبية المضرة، التي لا بد أن تقودهم إلى الهلاك، أي تدمر حياتهم. وتابع الرسول بولس موضحاً أن ما سمّاه بمحبة المال هو أصل لكل الشرور، أو أساس لكل الشرور التي يقع فيها الإنسان. ومنها بالتالي الطمع الذي قد يؤدي إلى الاحتيال والسرقة والقتل. ولنلاحظ قوله هنا أن من يقع في محبة المال سيضل عن الإيمان، ويطعن نفسه بأوجاع كثيرة.

أما المخلص المسيح فقد صرّح مرة لتلاميذه قائلاً: "انظروا وتحفظوا من الطمع. فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله. وضرب لهم مثلاً قائلاً: إنسانٌ غني أخصبت كورته. ففكر في نفسه قائلاً: ماذا أعمل لأن ليس موضع أجمع فيه أثماري. وقال: أعمل هذا. أهدم مخازني وأبني أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة

موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي واشربي وافرحي. فقال له الله يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي أعدتها لمن تكون. هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله." (بشارة لوقا ١٢: ١٥-٢١)

لقد أرفق المخلص المسيح تحذيره من الطمع، بمثل واقعي تحدث فيه عن إنسان غني أراد أن يوسّع أعماله، بسبب المحصول الوفير الذي حصل عليه، فأخذ يخطط لبناء مخازن أكبر، وهو أمر طبيعي في مثل هذه الأحوال. لكن يبدو من المثل أن هذا الغني افتخر بنفسه، وطمع بحياة طويلة ولسنين كثيرة. غير عالم أن حياته ليست في يده. فقال له الله: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك. وهذه التي أعدتها لمن تكون. وختم المسيح المثل بالتأكيد: أن هذا الذي يحصل مع كل من يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله. وبتعبير آخر، إن هذه تكون نتيجة الذي يطمع بالكثير، لكي يجمع المال لنفسه، لكنه في نفس الوقت لا يهتم بأن يكنز الكنز الحقيقي الذي هو غفران خطاياها، والعلاقة الروحية الصحيحة مع الله. فيكون أنه يخسر نفسه، بدل أن يربحها، ثم يخسر الأبدية كلها.

صديقي المستمع، هل لديك مشكلة الطمع؟ وهل تطمع للحصول على المزيد والمزيد من المال وبأية وسيلة كانت؟ إن هذا الطريق محفوف بالمخاطر الكثيرة كما لاحظنا، وهو لن يؤدي بك إلا إلى الهلاك. ولهذا نصح الرسول بولس بعد أن بيّن مخاطر الطمع ومحبة المال، نصح الإنسان قائلاً: "وأما أنت يا إنسان فاهرب من هذا واتبع البرّ والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة." (١ تيموثاوس ٦: ١١) فهل تراك تهرب من الطمع، وهل تأتي إلى الله تائباً سالكاً في طريق البرّ والتقوى والإيمان بالمسيح المخلص؟ إنه وحده القادر أن يحرك من الطمع ومحبة المال وينقذك من مخاطرها الكثيرة، وهكذا تصبح غنياً لله.